الاستاذ الاب لويس شيخو

الناعت الآداب العربية لفقد احد كبار حفدتها ، والواقفين حياتهم على نصرتها ، صديقنا وعضو مجمعنا العلمي العربي الاستاذ المرحوم الاب لويس شيخو اليسوعي ، منشئ مجلة المشرق الغراء في بيروت ، وصاحب التآليف الكثيرة . ولد في الخامس من شهر شباط سنة ١٨٥٩ في ماردين من الجزيرة ، وجاء الشام يافعاً فاتصل بالآباء اليسوعيين ، ودرس في مدرستهم في غزير من جبل لبنان ، فدرس العلوم الدينية والمدنية والآداب العربية والفرنسية ، وتذوق غيرها من الآ ن الميتة والحية ، ثم انتظم في سلك الرهبانية اليسوعية ، متجرداً من متاعب الحياة ومتـ ت والأسرة ، عازفاً عن بهارج الدنيا ، مأخوذاً بما اخذ النفس به من خدمة الدين ر علم . ولم يلبث ان ظهرت أمارات أدبه وثمرات تربيته فعدّ مفخرة لمن انضم الى جملتهم وساعدوه فتنقل في فرنسا وانكلترا والمانيا وايطاليا وغيرها من مراكز العلم في اوربا . فتهيأ له درس طريقة الغربيين في البحث والتأليف ، واطلع على مافي خزائنها من كتب العرب واستنسخ أمهاتها النادرة لحساب كلية بيروت اليسوعية . وحضر في اوقات مختلفة بعض المؤتمرات التي عقدها علماء المشرقيات في بلاد الغرب ، وساح كثيراً في أقطار الشرق .

انصرف الاستاذ لاول امره الى تعليم الآداب العربية في كلية القديس يوسف ، ونشر خلال ذلك عدة كتب مدرسية ودينية أهمها مجاني الادب في عشرة أجزاء ، استخرجها من كتب العرب وشرحها شروحاً لغوية أدبية وقد أصبحت معتمدة في المدارس الطائفية والتبشيرية في الشام وغير الشام ، ونشر مقالات علم الادب وكتاباً في الانشاء والعروض والخطابة . وأحيا بالطبع كتاب الألفاظ الكتابية للهمداني وفقه اللغة للثعالبي بحذف الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة فلاحظ عليه العارفون ولا سيما علماء المشرقيات هذا العمل فاضطر الى الرجوع عن هذه الطريقة في الكتب التي أحياها بعدُ من أسفار السلف .

وأهم مانشر من كتب المتقدمين والمتأخرين كتاب الهمز وكتاب المطر للانصاري ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكتاب الكتاب لابن درستويه ، وتهذيب الألفاظ ومختصره لابن السكيت ، وحماسة البحتري ، وطبقات الامم لصاعد ، وديوان الخنساء ، وديوان ابي العتاهية ، وديوان الخرنق اخت طرفة ، وديوان السموءل ، وديوان المتلمس ، ورواية جديدة من كليلة ودمنة ، وتاريخ بيروت لصالح بن يحيى ، وتاريخ شاكر بن الراهب القبطي ، وتاريخ سعيد بن بطريق وملحقه لسعيد بن يحيى الانطاكي ، وتاريخ محبوب المنبجي ، وفضائل الكلاب لابن المرزبان ، وآصف ناصه ، ومقالة في الضوء لارسطو ، والآلات المنغمة لمورستس ، والآلات المزمرة لبني موسى ، والمكحلة لابي محمد الصقلي ، وشواعر العرب ومجموعة اربع رسائل لفلاسفة اليونان وغيرهم . يضاف الى ذلك عدة رسائل في الفلسفة والدين مما خلفه القدماء نشرها بالاشتراك مع بعض أفاضل الآباء من اهل رسالته . وقد خدم بهذه الكتب الآداب العربية أجل خدمة وزاد بها مجاميعنا المطبوعة وأحسن بما علق عليها من الفوائد وخدمها به من الشروح والحواشي .

ومما ألفه مباشرة « المخطوطات العربية لكتبة النصرانية » و « معرض الخطوط » و « شعراء النصرانية في الجاهلية » و « شعراء النصرانية بعد الاسلام » ورسائله وكتبه في تزييف الماسونية والحملة على رجالها وكتابه في المدارس العلمانية اللادينية وتاريخ الرهبانية اليسوعية وتاريخ الطائفة المارونية في القرنين السادس عشر والسابع عشر وبيروت وآثارها وتاريخها وغير ذلك من رسائله ومقالاته الدينية والأدبية في مجلة المشرق عدا خطبه الدينية ومواعظه الروحية . وقد كتب معظم مقالات مجلته مدة خمس وعشرين سنة ونشر فيها اولاً أمهات تآليفه ثم استخرجها منها وراعى في كتبه نظام رهبانيته فجاءت كتاباته الا قليلاً أشبه بكتب الدعايات المذهبية ، منها بكتب علمية مشتركة ، وهو معذور في مشربه لاعتقاده بان عمله هذا قربى الى ربه ، وما خالف قط طريقته الدينية الى مايسمونه الطريقة العلمانية ، ولذلك تستنشق ريح دينه في كل ما كتب ونشر . ولو خلت بعض أسفاره و بخاصة شعراء النصرانية قبل الاسلام وبعده ، والآداب العربية في القرن التاسع عشر وبعده ، من هذه النزعة لكانت في الغاية من جودة التأليف ، لكثرة مادته وحسن تنسيقه .

لم يرزق الفقيد ذوقاً عالياً في الأدب العربي ، وظلت كتابته الى أخريات ايامه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كما كانت لاول عهده نمطاً واحداً لا تتناسب مع مقدرته على التأليف ووقوفه على أدب العرب والافرنج وعلوم العصر . اي ان الانشاء العربي لم يسلس له قياده على ما كان يجب . وغريب ممن عاش بين كتب الفصحاء من العرب ان يظل بعد درس ستين سنة في الانشاء عند حد نظرياته ، على كثرة ما قرأ وكتب ، وان تبقى ملكته الاولى في الاداء تتناوشه أحياناً ، ولا يتطال الا الى الاخذ من الينبوع الذي استقى منه في مدرسته الاولى ، ولعلّ كثرة دراسته للغة الفرنسية وغيرها من لغات الاجانب أدخل الضعف على ملكته العربية . وهكذا يقال في ذوقه في الشعر فقد نشر في مجلته قصائد لادعياء القريض ، كان الاولى ان تطوى على غرّها ، والف كتاب «اطرب الشعر وأطرب النثر» مجموعاً من أدب من حاول تخليد ذكرهم ، على حين تراهم فيما يخطون أحط مما ينظم او يكتب اليوم تلاميذ المدارس في مصر والشام . وما ندري ان كان يقصد من ذلك التنويه بمن نوه بهم فقط او انه مقتنع بان شعرهم ونثرهم حقيقة أطرب الشعر والنثر ، يجب تخليده وتأبيده في بطون الصحف ، حرصاً على بلاغته وفصاحته .

وقضت عليه الصنعة او البيئة على ما يظهر ان يغمط حق العرب في مدنيتهم وكان على الاغلب ينظر اليها من الوجه الذي لا يستحسن ، ولذا يعد شعوبياً وشديد الشعوبية بافكاره وتصريحاته ، لا صلة بينه وبين العرب الا بما نشره من آثار علمهم وحذق من آداب لسانهم . وآخر أثر له من هذا القبيل انه ذكر جملة من ادباء المسلمين — وهو مولع في التفريق بين المسلمين والمسيحيين — في الربع الاول من القرن العشرين لم يتجاوز في عدهم العشرات في الامة العربية مع ان من وضعوا المصنفات والتآليف ولهم مكانة في الشعر والادب لعهدنا هذا لا يقلون عن ثلاثمائة رجل اعتذر بجهله اسماءهم مع ان من اشتهرت بين قراء العربية مصنفاتهم وفيها الممتع لا يصعب السؤال عنهم و يستغرب ان لا يطلع مثله على أعمالهم .

و بالنظر الى إكثار مترجمنا من التأليف والنشر قد يضطر في الاحايين الى العجلة فيدوّن ما يعرض له بادئ الرأي فيجيء خداجاً . ولو كان المفروض عليه عمله أقل مما كان ، وكان له من الوقت ما تنضج به موضوعاته ، لعدت كتبه كلها سلسلة جميلة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من البحث والدرس شاهدة على الايام بفضله وجده . ومع هـذا قلّ من يسامية في المتأخرين بكثرة التواليف وتنوع الموضوعات التي عالجها فعدّ في المؤلفين من المكثرين . لاجرم انه مثال المجد العامل ليله ونهاره على نشر العلم والادب على طريقة خاصة لا يعتقد في غيرها الخير ، ولا يحفل اذا وافقت الغرض الذي نذر له نفسه أخطأ ام اصاب . وندر مثله في المعاصرين من مؤلفي العرب الذين جمعوا الى العلوم الدنيوية علوم الدين ومزج الطريقتين وخدمهما كلتيهما بحسب رأيه واجتهاده ، ونظر الى ما عداهما شزراً لم يعره عند الحاجة الا نظر التقزز والكراهيـة لا نظر عطف وفضل ثقة . وصرف شطراً من حياته وهو واقف بالمرصاد لا تأخذه هوادة في رد الشبه التي ترد على النصرانية ولا سيما مذهب الروم الملكيين ، ونقد ما يرى انه يمس روحه وجوهره ، وتدوين كل نافع وتافه من آثار لبنان وسكانه من الموارنة والكاثوليك فقط .

كان الاب شيخو مثال الراهب المتبتل المتمسك بدينـه الداعي اليه ، الذاب عن حياضه ، مثالاً واي مثال في جده ودؤوبه ، جمع من مخطوطات الشام والعراق والعجم والهند مجموعة من الكتب العربية والسريانية والفارسية والتركية ، واخذ بالتصوير الشمسي عن نوادر الكتب المحفوظة في خزائن الغرب ، مئات من المجلدات جعلها في خزانة كلية القديس يوسف في بيروت ودوّن لخزانتهـا الشرقية فهارس ، ووصف الكتب العربية وصف عالم عارف بالعربيـة والفرنسية ، وساعدته على إظهار فضله رهبانيتـه المنظمة القوية ، ومطبعتها المتقنة التي طبعت له كل ما أراد ، فجاءت جريدة كتبـه وما أحياه من تراث الأقدمين وافرة العدد ، دالة على فضل علم ووفرة حزم وعزم .

والحق نقول انه صاحب القدح المعلى بين رجال رهبانيته من ابناء العرب ، اخذ بايدي تلاميذه وقرائه في السبيل التي اعتقد فيها الخلاص فأشربهم حب الدين وعلمهم من علوم الدنيا . وقد اشتهر بتآليفه بين قراء العربية في الشرق والغرب ، ومن الناس من يقتنون كتبه لجمال طبعها وتنسيقها ، وسرعة الوصول الى الاخذ منها ، لانه حذا حذو المستعربين من الغربيين في طريقتهم يوم نشر التآليف القديمة والحديثة .

ويعد الفقيد في الدرجة الاولى بين طبقات الرجال الذين اثروا في الافكار ونشلوا طائفتهم من مخالب الجهالة ، واعلوا في البلاد كلمتها ، ولذلك عظمت الرزية به على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جامعته وجماعته وجمعيته خاصة والادب عامة . هذا الى ما كان عليه من لطف ووداعة وحرص على افادة قاصديه والمستنيرين برأيه في معضلاتهم . رحمه الله ، وعامله بعفوه ورضاه

محمد كرد علي